الخمر فى شعر أبى محجن الثقفى

رؤية نقدية تحليلية

دكتورة

نـــاهد أحمد الشـــعـــراوى

أستاذ مساعد – قسم اللغة العربية

كلية الآداب – جامعة الإسكندرية

كان أبو محجن الثقفي[1] من أبرز فرسان العرب وشجعانهم، وهو يُعدُّ من الشعراء المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام. وتشير بعض كتب تراجم الشعراء التى ترجمت لهذا الشاعر أنه كان فارسًا شريفا شجاعًا، وبطلا من أبطال العرب فى قتال الفرس على عهد الخليفة عمر بن الخطاب، وأبلى بلاءً حسنًا فى موقعة القادسية، وحُمد قتاله فيها.

وتشير بعض أخباره إلى أنه كان يشرب الخمر، وحدّه عمر بن الخطاب فى ذلك[2]. ويقال إنه هوى امرأة من الأنصار، وكان يتلصص ليراها فشكاه زوجها لعمر.

فنفاه عمر إلى جزيرة فى البحر يقال لها حَضَوْضى[3]، وأرسل معه حارسًا يقال له ابن جهراء، واحتال أبو محجن وهرب من الحارس على ساحل البحر، ولحق بسعد بن أبى وقاص[4]، وهو يقاتل العجم بالقادسية.

وتتعدد الأخبار وتطول فى ذكر هذا الموقف، ومؤداها أنه بعد أن استجاب سعد بن أبى وقاص للخليفة عمر فى أمر حبسه، وفى يوم "الكتائب" اشتد القتال إلى أن انتصف الليل، وفى صبيحة هذه الليلة كان يوم "أرماث"، فصعد أبو محجن إلى سعد بن أبى وقاص يستعفيه فمنعه وردّه، وكان مقيدًا فى ذلك اليوم عند "زبراء"[5] أم ولد سعد بن أبى وقاص، فقال لها أبو محجن: أطلقينى، فلك الله لئن فتح الله على المسلمين وسلمتُ، لأرجعنَّ حتى أضع رجلىَّ فى قَيْدى. فقالت: وما أنا وذاك ؟ فرجع يرسف فى قيوده، **ويقول:**

كَفَى حَزَنًا أن تَرْدِىَ الخيلُ بالقنا ... وأُتْرِكَ مشدودًا علىَّ وثاقيا[٦]

إذا قُمتُ عَنَّانى الحديدُ وغُلِّقت ... مصاريعُ من دونى تُصَمْ

وقد كنتُ ذا مالٍ كثيرٍ وإخوةٍ ... فقد تركونى واحدًا لا

وقد شفَّ جسمى أننى كلَّ شارقٍ ... أخَاليا أُعالِج كبلاً مُصْمتا قد

فلله دَرِّى يوم أُتركُ مُوثَقا ... برَانِيا وتَذهَلُ عنى أسرتى

حَبيسًا عن الحرب العوانِ وقد ... ورجاليا وإعمالُ غيرى يوم

بدت ولله عهدٌ لا أخيسُ بعهده ... ذَاكَ العواليا لئن فُرِجت ألا

هلُمَّ سلاحى، لا أبالَكَ، ... أزُورَ الحوانيا أرَى الحربَ لا

إننى ... تزدادَ إلا تماديا[٧]

فقالت له : إنى قد استخرت الله ورضيت بعهدك، فأطلقته ، واقتاد هو فرس سعد "البلقاء" فركبها، وقاتل يومئذ قتالاً محمودًا، وكان سعد يومئذ بالقصر وكنت بسعد جراحةٌ[٨]، وجعل سعد يقول –وهو مشرفٌ ينظر إليه– الطعنُ طعنُ أبى محجن، والضبرُ ضبرُ البلقاء. ولولا مَحْبس أبى محجن لقلت: هذا أبو محجن وهذه البلقاء. وظل يقاتل حتى انتصف الليل، فأقبل أبو محجن حتى دخل القصر، وأعاد رجليه فى القيد فأتت المرأة سعدًا فأخبرته بالذى كان من أمره، فأرسل إلى أبى محجن فأطلقه، وقال له سعد والله لا حبستك فيها أبدًا، قال أبو محجن: "وأنا والله لا أشربها بعد اليوم أبدًا[٩].

وقد أشاد ياقوت الحموى فى معجم البلدان بحسن بلائه فى القادسية، فى عدة مواضع، ومنها "أُلَّيْس"[١٠] الذى كانت فيه الوقعة بين المسلمين والفرس، وأنشد أبو محجن شعرًا حماسيًا فى هذه الوقعة مصورًا حاله وحال الأبطال المسلمين من حوله، **قال** :

ما رمتْ حتى خرقوا برماحهم ثيابى، وجادتْ بالدماءِ الأباجلْ
وحتى رأيتُ مُهرتى مُزبنرةً من النَبل يُرْمى نحرُها والشواكلْ
وما رُحتُ، حتى كنتُ آخر رائح، وضُرِّج حولى الصالحون الأماثلْ
مررتُ على الأنصار وسْط رحالهم، فقلتُ ألا هَلْ منكم اليوم قافلُ ؟
وقرّبتُ روّاحًا وكورًا وغُرْقةً، وغودر فى أُلَّيس بكرٌ ووائلُ[11]

ويفهم من فحوى أخبار هذا الشاعر أنه بالرغم مما أبلاه من جهاد فى سبيل الله فقد كان يشرب الخمر، ومن المعروف أن الخمر[12] ورد ذكرها ووصفها فى الأدب العربى منذ العصر الجاهلى لدى كثير من الشعراء، وورد ذكرها لدى شعراء المعلقات وأشهرهم فى ذلك الأعشى -الذى عده بعض النقاد من أشهر شعرائها فى الجاهلية[13]، وطرفة ولبيد وعلقمة وعنترة وعمرو ابن كلثوم[14].

كما ورد ذكرها عند غيرهم من الشعراء الجاهليين كعدى بن زيد والمرقش الأصغر، والمنخَّل اليشكرى والأسود بن يَعفُر والمتلمِّس.

ومن المخضرمين[15] -الذين نشأوا فى الجاهلية وعاصروها شطر حياتهم، ثم عاصروا الإسلام شطرها الثانى وكان لهم فى الإسلام حياة ونشاط أدبى ملحوظ- كان أشهرهم فى ذكر الخمر حسان بن ثابت الذى أسلم وحسُن إسلامه، ومكانه من النبى صلى الله عليه وسلم معروف. فقد كان شاعره كما كان شاعر المسلمين.

وعلى الرغم من ذلك فقد جاء فى مدحته الهمزية للرسول صلى الله عليه وسلم بأبيات فى الغزل والخمريات على عادة الجاهليين، وذلك قبل نزول آية تحريم الخمر[16].

ومن هؤلاء الأقَيْشر الأسدى، وهو المغيرة بن الأسود بن وهب -الذى ولد فى الجاهلية ونشأ فى أول الإسلام ووصفه الرواة أنه كان صاحب شراب وندامى ولهوٍ ومجون، وقد أفرد للخمر قصائد ومقطوعات مستقلة[17].

ومنهم الشاعر قيس بن عمرو الحارثى الملقب بالنجاشى[١٨].

والمتأمل فى ذكر هؤلاء الشعراء للخمر وحديثهم عنها قد يرى فى هذا أثرًا من آثار الجاهلية، فمن شأن من ينشأ فى بيئة، ويعيش فيها أن تتشبع روحه بشتى ملامحها ولذلك لا ندهش أن نرى آثار الجاهلية واضحة فى شعر المخضرمين بصفة عامة، ويبدو لى أن تواصل العصور أمر بدهى، يقول أحد الدارسين المعاصرين[١٩]:

«فكل عصر له جذر من ماضيه، وامتداد فى العصر الذى يليه، ويبقى هذا الامتداد حتى تنسج المؤثرات الجديدة نسيجها وتبرز عملاً أدبيًا فنيًا يميز نفسه، ويحدد عصره».

وإن كانت الأخبار تؤكد أن الخمر كانت إحدى المتع الأساسية فى المجتمع الجاهلى، وقد تردد ذكرُها فى هذا الشعر وسيلةً من وسائل اللذة واللهو فى ذلك المجتمع، فإن جانبًا آخر من الأخبار يشير إلى بعض الناس فى هذا العصر كانوا قد حرَّموا الخمر على أنفسهم تكرمًا وصيانةً ومنهم العباس ابن مرداس، وقيس بن عاصم، وعثمان بن مظعون وغيرهم[٢٠].

وقد ذكر ابن قتيبة أن كثيرًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حرَّموا الخمر على أنفسهم فى الجاهلية، لعلمهم بمساوئها، ومن هؤلاء أبو بكر "رضى الله عنه"[٢١].

ومن أشعارهم فى ذلك قول عامر بن الظَّرب :

سألتُ للفتى ما ليس فى يده ... ذَهَّابة بعُقُول القومِ والمال

أقسمت بالله أسقيها وأشربُها ... حتى يُفَرِّق تُرْبُ القَبْرِ أوصالى

مُورِثةُ القومِ أضغانًا بلا إحَنٍ ... مُزْرِيَةٌ بالفتى ذى النَّجدة الحالى[٢٢]

وقال قيس بن عاصم، وقد حرَّم الخمر :

لعمرُك إن الخمر ما دُمْتُ شاربا ... لسالبةٌ مالى ومُذهبَةٌ عقلى

وتارِكَتِى من الضِّعاف قُوائمُ ... ومُورِثَتى حربَ الصديق بلا تَبِلْ[٢٣]

وقال عفيف بن معد يكرب أيضًا:

فـــلا والله لا أُلْفـــى وشـــربًا أُنـــازعهم شـــرابًا مـــا حييـــتُ

أبـــى لـــى ذاك آبـــاءٌ كـــرَامٌ وأخوالٌ بعـــزَّهمُ رَبيـــــت[٢٤]

والمتأمل المدقق فى شعر أهل الجاهلية فى الخمر يتضح له أن الشاعر فى ذلك العصر كان يبسط حديثه عنها فى مجال عرضه لمظاهر القوة، ومظاهر الكرم، ومظاهر السيادة.

وعلى أية حال فقد كانت الخمر فى شعرهم مظهرًا من مظاهر النعمة التى لا تتوافر إلا للقوى صاحب القوة الذى يمكنه توفير المال الوفير، الضرورى لجلب تلك المتعة. ولذا فقد كان الجاهلى يتحدث عن الخمر مفاخرًا بإهدار المال فى سبيلها، **يقول لبيد :**

أُغْلِى السِّباءَ بكلِّ أدكَنَ عاتِـــقٍ أو جَوْنَةٍ قُدحَتْ وفُضَّ ختامُهَا[٢٥]

ويقول عنترة :

ولقد شربتُ من المدامةِ بعدَمَا ركَدَ الهواجِرُ بالمشوفِ الْمُعلَمِ[٢٦]

ويقول عمرو بن كلثوم :

ترى اللَّحزالشحيحَ إذا أُمرَّت عليـــهِ لمالِهِ فيهـــا مُهيـــنَا[٢٧]

وهذا يؤكد صحة القول بأن الخمر كانت فى هذا العصر واحدة من المتع الأساسية فى ذلك المجتمع، ولذلك فقد تغنى بها الشعراء فى ثنايا قصائدهم، ورأوا فيها مظهرًا من مظاهر فتوتهم إلى جانب أخلاقهم فى المروءة والنجدة والإغارة. وبسبب تغلغل الخمر فى حيواتهم لم يحرمها الإسلام دفعةً واحدةً كما حرم بعض مظاهر الحياة الجاهلية، وإنما حرَّمها على مراحل آخذًا العرب بالتدرج فى تركها بدليل آيات التحريم(٢٨).

إن ما وصل إلينا من شعر أبى محجن الثقفى يدور معظمه حول الخمر والفروسية(٢٩)، وإنا لندهش لفارسٍ قوى، عنيف فى قتاله، ومن أبرز فرسان العرب وشجعانهم كأبى محجن الثقفى أن تضعف إرادته أمام الخمر، ولا يقوى على تركها على الرغم من تحريم الإسلام الصريح الحاسم لها، وعلى الرغم من الحدود التى تعرض لها أبو محجن عدة مرات !!!

بل الأدهى من ذلك أن الشاعر لم ينكر شربه لها، بل أعلنه فى شعره إعلانًا، ومما يستدل به على صحة ذلك قوله(٣٠):

ألا سَقِّنِى يا صاحِ خمرًا فإنَّنى ... بما أنزلَ الرَّحمنُ فى الخمرِ عالمُ
وجُدلى بها صِرفًا، لأزداد مأثما ... ففى شُرْبها صرفًا تتمُّ المآثمُ
هى النارُ إلا أننى نلتُ لذةً ... وقضَّيْتُ أوتارى وإن لام لائمُ

وإن ارتباط أحاديث الخمر بأحاديث الفروسية قد ورد فى شعر الجاهليين من قبله. ومن هؤلاء عنترة بن شداد العبسى فى معلقته، فهو يفاخر بشربه الخمر التى تُنقِص ماله ولا تنقصُ عرضه ولا مروءته، إذ لا يذهب السكر بعقله، وقد جعل هذه المفاخر فى قصيدته تتوسط أحاديث الفروسية. يقول:

أثنِى علَىَّ بما علِمْت ... سَمْحٌ مُخالَقَتى إذا لم أُظْلَمِ
فإنَّى ... مُرٌّ مذاقَتُهُ كطَعْم العَلْقَمِ
وإذا ظُلِمْتُ فإن ظُلْمِى باسلٌ ... ركدَ الهواجرُ بالْمُشَوفِ الْمُعْلَمِ
ولقد شربتُ من المُدامَةِ بعدما

بزجاجةِ صفراء ذات أسرّةٍ قَرنتْ بأزهر في الشمال مفدّم
فإذا شربتُ فإنني مُستهلكٌ مالي وعرْضي وافرٌ لم يُكْلَمِ
وإذا صحوتُ فما أُقصّرُ عن ندىً وكما علمت شمائلي وتكرُّمي
وحليلُ غانيةٍ تركتُ مجدّلاً تمكو فريصتُهُ كشدْق الأعلمِ[٣١]

وينحو لبيد في معلقته نحوًا من ذلك، فهو يفتخر بشرائه الخمر الغالية الثمن التي يستمتع باصطباحها، ويتعاطى منها أيضًا في السّحر فيشرب منها بنَهَم شربًا متتابعًا. ثم يُتبع الشاعر حديث الخمر بمفاخر الفارس الكريم الذي يحمي العشيرة، ويعلو المرقبة على فرسه، يقول[٣٢]:

أُغلي السِّباءَ بكل أدكن عاتقٍ أو جوْنةٍ قُدحتْ وفُضَّ ختامُها
وصبُوحِ صافيةٍ وجَذْبِ كرينةٍ بمُوتَّرٍ تأتالُهُ إبهامُها
بادرتُ حاجتَها الدجاج بسُحْرَةٍ لأعلَّ منها حين هبَّ نيامُها
وغداة ريحٍ قد وَزَعتُ وقرَّةٍ قد أصبحتْ بيد الشمال زمامُها
ولقد حميتُ الحيَّ تحملُ شكَّتي فُرطٌ وشاحي إذ غدَوْتُ لجامُها
فعلَوْتُ مُرْتقبًا على ذي هَبْوَةٍ لجامَ الطِّرَّةِ إلى أعلامِهنَّ قَتامُها

وأما طرفة بن العبد البكري فهو يفخر بلذاته الثلاثة: الخمر والفروسية والنساء، بنغمة فخر غالية، وقد حدد هذه اللذات وعدَّدها، وجعلها متعته في الحياة التي لا تعدلها متعة، وذكر أنه يحرص على الحياة من أجل أن يستمتع بها، يقول[٣٣]:

ولولا ثلاثٌ هُنَّ من عيشَةِ الفتَى وجدّكَ لم أحفل متى قامَ عُوَّدِي
فمنهن سبقُ العاذلاتِ بشَرْبَةٍ كُميْتٍ متَى ما تُعَلَّ بالماءِ تُزْبِدِ
وكرِّي إذا نَادَى المضافُ مُجنَّبًا كسيدِ الغضا نبَّهتْهُ المتورِّدِ
وتقصيرُ يومَ الدَّجْنِ والدَّجْنُ مُعجبٌ ببهكَنَةٍ تَحْتَ الطِّرَافِ المعمَّدِ

إن الفروسية كما يتضح مفهومها من الشعر الجاهلى كانت تعنى القوة، لأن حياة الفرسان كانت فى مجتمع لا مكان فيه لغير الأقوياء، وكانت مظاهر القوة لديهم تتضح فى دلالاتها الحماسية فى الإقدام والجرأة والاستهانة بالمخاطر. وفى دلالاتها الاجتماعية كالكرم والنجدة والمروءة وحماية الحقيقة وإباء الضيم.

والواقع أن شعر أبى محجن وأخباره يدلان دلالة واضحة على شخصية الفارس العربى الكريم، فقصيدته القافية تضم جماع أخلاق الفارس النبيل الشريف، وتحمل معانيها دلالات من بيئة الشاعر لمعانى الفضيلة والرذيلة، وقد فضلها أبو هلال العسكرى شارح الديوان على كل شعر قيل فى معناها[٣٤].

قال أبو محجن :

لا تسألى الناسَ عن مالى وكثرتِهِ ... وسائلى القوم عن دينى وعن خُلُقى[٣٥]

قد يعلمُ الناسُ أنا من سَراتهمُ ... إذا سما بصرُ الرَّعديدَةِ الفَرق

أُعطِى السِّنانَ غداةَ الرَّوع نحلَتَهُ ... وعاملُ الرُّمح أرويه من العَلَق

وأطعنُ الطعنةَ النجلاءَ عن عُرُضٍ ... تنفى المسابيرَ بالإزْبادِ والفَهَق

عف الإياسة عما لست نائله ... وإن ظلمت شديد الحقد والحنق

وأكشف المأزق المكروب غمته ... وأكتم السر فيه ضربة العنق

قد يُقْتِرُ المرءُ يومًا وهوَ ذو حَسَبٍ، ... وقد يثوبُ سوامُ العاجِزِ الحَمِق

قد يكثُرُ المالُ يومًا بعد قلتِهِ، ... ويكتسى العودُ بعد الجَذْبِ بالوَرَق

وقد أجودُ ومالى بذى فَنَعٍ، ... وقد أكرُّ وراءَ الْمُحْجَرِ البَرِق

وأهجُرُ الفعل ذا حُوبٍ ومَنْقَصَةٍ، ... وأتركُ القَوْلَ يدْنينى من الرَّهَق

إن سمة الفارس تبدو جلية في الأبيات السابقة: بشجاعته وسيادته وكرم أصله، ومهارته في استخدام أدوات القتال، وبراعته في مقاتلة الخصوم. وفضلاً على ذلك فهو عفيف النفس، لا يستكين للظلم، ويجود بما يملك على قلته، ويتجنب الآثام فعلاً وقولاً.

وقد وُفق شاعرنا خلال الأبيات في رسم صورةٍ معبرة عن المثالية الرفيعة الكريمة التي كان يمتاز بها الفارس العربي القديم. وقد ذكر أبو هلال العسكري إعجاب الفتيان المعاصرين بهذه الأبيات وحفظهم لها[٣٦]. كما أورد صاحب الإصابة أن ابن أبي محجن دخل على عبد الملك بن مروان -وفي رواية أخرى دخل على معاوية- فأنشده الأبيات، ونال استحسانه وعطاءه[٣٧].

يضاف إلى ذلك أن أبيات أبي محجن التي أنشدها وهو محبوس مقيد بأغلال الحديد، بينما القوم يحاربون بالقادسية، تعد صرخة فارس يتشوق للقتال وتمنعه القيود التي يرسف فيها، ومنها قوله[٣٨]:

كفى حَزَنًا أن تُطْعَن الخيلُ بالقنا ... وأُصبح مشدودًا عليَّ وثاقيا
إذا قُمتُ عنَّاني الحديدُ وأُغلِقَتْ ... مصارعُ من دوني تُصمُّ المُناديا
وقد كنتُ ذا مالٍ كثيرٍ وإخوةٍ، ... فأصبحتُ منهم واحدًا لا أخاليا
فإن مُتُّ كانت حاجةٌ قد قَضيتُها ... وخلَّفتُ سعدًا وحدَهُ والأمانيا

إن المتأمل المدقق في شعر أبي محجن في الخمر يلاحظ أنه يتجه اتجاهين: اتجاه يتمثل في إصراره على شربها، ووصف استمتاعه بها، وأنسه بمجالسها، والثاني في ذم الخمر، وبيان مساوئها والإقلاع عن شربها. وإن إصرار أبي محجن وتمسكه بعادته في شرب الخمر على الرغم من إقامة الحد عليه يُعدُّ أثرًا جاهليًا جليًا في سلوكه وشعره كما أوردنا من قبل. وليس هذا وحسب بل يعد مظهرًا من مظاهر ضعف الإرادة، كما ذكرنا آنفًا، وعدم القدرة على التحرر من ربقة الإدمان، وفضلاً على مزاوجة الشاعر بين أحاديث الخمر وأحاديث الفروسية، وهي سمة بارزة في ديوانه فيلاحظ أنه

يتجه إلى التعبير عن شغفه بالخمر، وكأن صلة عاطفية تقوم بين الشاعر والخمر مما يؤكد أن أبا محجن كان مفتونًا بالخمر لا يعدل بها شيئًا، ولا يستطيع لها فراقًا.

ويدل على ذلك تصريحه بأنه قد تجلَّد على فراق إخوته على الرغم من عجزه عن فراق خمرته، **يقول** :

وإنى لذو صبر وقد مات إخوتى ... ولستُ عن الصهباء يومًا بصابرِ(٣٩)

وكذلك يصرح بخوفه أن يحول الموتُ بينه وبين خمرته، يقول:

إذا مُتُّ فادفنى إلى أصلِ كرمةٍ ... تُروِّى عظامى فى الترابِ عروقُها

ولا تدفننِّى بالفلاةِ، فإننى ... أخافُ إذا ما مُتُّ ألا أذوقَها(٤٠)

ويتميز بالتعبير الصريح، دون تكلف ولا استحياء، مُظهرًا الشغف بها، والمعصية الدينية فى سبيلها حينًا. ثم الطاعة الدينية والتوبة الخالصة، زاهدًا عنها ذامًا لها.

ففى طور الإصرار عليها كانت تأخذه العزة بالإثم فيجاهر بعلمه بتحريم الخمر، ومع ذلك فهو يعاقرها، يقول:

إن كانت الخمرُ قدعزَّتْ وقد مُنِعَتْ ... وحال من دونها الإسلامُ والحَرَجُ

فقد أباكرُها ريّا وأشربُها ... صِرفًا وأطربُ أحيانًا فأمتزجُ(٤١)

ومن جهره بالمعصية فى شرب الخمر أنه يؤكد معصيته، ويؤكد أيضًا إدراكه التام لنتائجها وأنها تدخله نار جهنم، ومع هذا فهو يعلن أنه سوف يتحمَّل النار فى سبيلها، ويتضح هذا من قوله:

ألا سَقِّنِى، يا صاحِ خمرًا فإننى ... بما أنزلَ الرحمنُ فى الخمرِ عالمُ

وجُدْ لى بها صِرفًا، لأزداد مأثَما ... ففى شُربها صرفًا تتمُّ المآثمُ

هى النارُ إلا أننى نلتُ لذةً ... وقضَّيْتُ أوتارى وإن لام لائمُ(٤٢)

وإن صدقه فى التعبير عن تجربته فى الخمر قد تجلى أيضًا فى وصف عزوفه عنها، وزهده فيها، وذلك حين انتصر لديه الوازع الدينى فأقلع عنها(٤٣).

ويصور فى الأبيات الآتية ما يتعرض له من إغراء بغنم النشوة فى الشراب ولكنه يعرض عنها هاجيًا الخمر بذكر السفاهة والخفة والهيام الذى يصيب شاربها، فيلحقه العار لما يفقده من الوقار والعزة، ويتضاءل قدره بين الناس. يقول :

يقول أناسٌ : اشرب الخمر، إنها ... إذا القوم نالوها، أصابوا الغنائما
فقلت لهم : جهلاً كذبتم، ألم تروا ... أخاها سفيها بعدما كان حالما؟!
واضحى وامسى مستخفًا مهيّضًا ... وحسبك عارًا أن ترى المرء هائما[٤٤]

وقد يلجأ إلى وصف لذته ومتعته بالخمر، فيشربها فى أول النهار عند الشروق، ثم فى العشى (شرب الغبوق). ثم يذكر تلذذ الشارب وسعادته بالخمر وكأسها، **فيقول:**

أباكرُها عند الشروق وتارةً ... يُعاجلُنى بعد العشى غبوقُها
وللكأس والصهباءِ حقٌ منعمٌ ... فمن حقِّها ألا تُضاع حقوقُها[٤٥]

وشبيه بهذا قوله :

فقد أباكرُها ريًا وأشربُها ... صِرفًا وأطربُ أحيانًا فامتزجُ
وقد تقومُ على رأسى مغنيةٌ ... فيها إذا رفعتْ من صوتها غُنُجُ
تُرفّعُ الصوتَ أحيانًا وتخفضُهُ ... كما يطنُّ ذُبابُ الرّوضةِ الهزجُ[٤٦]

ولا تفارق هذا الشاعر وهو يتحدث عن الخمر صفات الفارس النبيل. ففى هذه الأبيات يجمع أبو محجن بين وصف متعته بالخمر ووصف حفاظه على أخلاق الشهامة والسيادة التى يتمتع بها. إذ يصرح بحرصه على شراء خمره الممتعة له من التجار القادمين بها متاجرين. فيسعد هو بخمره ويستمتع بالشراب، ويسعد التجار بتسويق خمورهم والتربح منها. ثم يؤكد بعد ذلك أنه على الرغم من شربه فإن أخلاق العفة، والنجدة، وحماية الجار، وإغاثته، وإكرام الضيف لا تفارقه. مما يمثل حفاظه على أخلاق الفارس النبيل، يقول[٤٧]:

وللكـــأس والـــصّهباء حـــقٌ مـــنعّمٌ ... فمـــن حقّهـــا ألا تـــضاع حقوقهـــا
أقوّمهـــا زقّـــا بحـــقٍ بـــذاكمُ ... يُـــساقُ إلينـــا تَجْرُهـــا ونـــسوقُها
وعنـــدى علـــى شُـــرب العُقـــار حفيظـــةٌ ... إذا ما نساءُ الحـــىّ ضـــاقتْ خُلوقُهـــا
وأُعْجلـــنَ عـــن شـــرّ المـــآثر ولَهْـــا ... مفجّعةَ الأصـــواتِ قـــد جَـــفّ ريقُهـــا
وأمنعُ جـــــارَ البيتِ مما ينوبُـــــهُ ... وأكرمُ أضـــيافًا قِراهـــا طُرُوقُهـــا

وقد بلغ شغف الشاعر بالخمر أن أورد فى شعره أسماءً للخمر، تـدل على صفات خاصة بهذا الشراب، مما يفيد تمكـن الـشراب مـن شـاعرنا، وإدراكه لصفات الخمر المتداولة فى عصره. مثل: "الصهباء". يقول :

- ولست إلى الصهباء ما عشت عائدًا.

- وللكأس والصهباء حق منعم.

- ولست عن الصهباء يومًا بصابر.

وهو بذلك يقصد لون الخمر، فالصهبة كما قال الأصـمعى: "حمـرةٌ يخالطها بياض"(٤٨)، ويدلل أبو هلال العسكرى على اللون، يقول: "الـصهباءُ: الخمرُ المتخذةُ من العنب الأبيض"(٤٩).

ومن أسماء وصفات الخمر لدى شاعرنا "مُزّة"، يقول: "مُزّة راووقهـا خضل" وهذه التسمية تدل على الطعم،"فالمزازة طعمٌ من الحُلوِ والحامض"(٥٠).

ويقول ابن قتيبة فى ذلك(٥١) : «يقول الشعراء للخمر مُـزّة، للـذعها اللسان، ولا يريدون الحموضة».

وبعض أصحاب اللغة يقولون إنما هى مَزّةٌ أى فاضلة، من قولك هـذا أمز من هذا أى أفضلُ منه، كأنها لفضلها على سائر الأشربة سُميت بذلك(٥٢).

كما يسميها "العُقار"، يقول "وكنت أروِّى هامتى من عقارهـا"، وهـذه التسمية تدل على فعل الملازمة، أى ملازمة الشاربين للدَّنّ، فمعـاقر الكـأس

ملازمها، ويروى السرى الرفاء عن الأصمعى معنى آخر من العقر وهو القطع، كأن الخمر تعقر شاربيها بالسكر[٥٣].

ويسميها أيضا "بالقهوة" يقول: "وقالوا عجيب تركك اليوم قهوة". وتدل التسمية على حالة شارب الخمر، قال الكسائى: سُميت قهوةً لأن شاربها يُقهى، أى تذهب شهوته للطعام[٥٤].

ومن صفات الخمر التى أوردها أبو محجن : "الصَرف" فى قوله : "وجُدْ لى بها صرفًا"، و"أشربها صرفًا".

وهو يدل بذلك على بعض العادات آنذاك فى شرب الخمر، فالصِّرفُ هو الخالص من الشىء، يقال كذبٌ صِرف أى خالص، كأنها خالصة من الماء والمزج[٥٥].

وذكر كذلك من عادات الشاربين؛ شرب البكور وشرب الغبوق، يقول:

أباكرها عند الشروق وتارة يعاجلنى بعد العشى غبوقها

فالغبوق : ما يُشرب بالعشى، وغبقة: سقاه ذلك فاغتبق شربه[٥٦]. والصبوح: شرب الغداة.

وكذلك من صفات الخمر لديه "مُترعة"، يقول: "إننى باكرت مُترعة" فالتَّرَعُ: الامتلاء، وأترعه : ملأه، وحوض ترع: ممتلئ[٥٧]. فيقصد الشاعر هنا عادة ملء الكأس خمرًا.

ومن ألفاظ الخمر لديه وردت صفة "النُّدمان".

يقول : "وقال لى الندمانُ لما تركتها"، وهى صفة من المفاعلة التى تكون بين اثنين، كما تقول : ضاربه وشاتمه. وذكروا أنه إذا سكر الرجل تكلم بما يندم عليه، وفعل ما يندم عليه، فقيل لمن شَاربَه: نادمه لأنه فعل مثلَ فِعله، ثم اشتُقَّ من ذلك "نديم"[٥٨].

وكذلك وردت لديه صفة "ثمل"، يقول : "فأنادى إننى ثمل" وهى صفة لحالة شارب الخمر لأن الثَمَل : السُكْر.

كما أورد من ألفاظ الخمر "كرمة العنب"، يقول : "إذا مت فادفنى إلى أصل كرمة"، وذكر "معاصر الخمر"، يقول : "فخلانها يبكون حول المعاصر" كما ذكر "الكأس"، يقول: "راووقها خضل".

وكلها تعنى دلالات بيئية مألوفة فى بيئة الشاعر، والنص الشعرى بطبيعته تركيبه مكثفٌ مركزٌ،يحمل من الدلالات أكبر مما تحمل اللغة المستعملة فى مجالات أخرى، أو اللغة المألوفة فى تركيب أى نص أدبى آخر[٥٩].

إن إلحاحَ الشاعر فى ذكر الخمر خلال ديوانه، وتغنيه بعشقه لها، وإصراره عليها ليعدُّ ظاهرة غريبة فى ذلك العصر الإسلامى المبكر.

وأيما كانت أسباب إدمانه الخمر، فهو يبدو -خلال شعره فى الخمر- مستسلمًا لداءٍ مزمن لا يستطيع منه خلاصًا.

إذ كشفت نصوص خمرياته الخمسة[٦٠] التى وردت فى الإصرار على شرب الخمر ووصف لذته ونشوته بها، عن شخصية مدمن لا يقوى على فراق خمره، **<u>ومن ذلك قوله</u>** :

صبرت فلم أجزع ولم أك طائعًا لحادث دهرٍ فى الحكومة جائر
وإنى لذو صبرٍ وقد مات إخوتى ولست عن الصهباء يومًا بصابر[٦١]

كما أن النصوص الأربعة التى وردت بديوان الشاعر فى ذم الخمر ووصف إقلاعه عنها[٦٢]، يؤيد صدقها أخبار أبى محجن -التى أوردتها مصادرٌ عديدةٌ فى معركة القادسية حين أعلن توبته عن الخمر، وذلك بعد أن عفا عنه سعد بن أبى وقاص. ومن ذلك قوله :

ألم ترنى ودَّعت ما كنت أشرب من الخمر إذ رأسى -لك الخير- أشيبُ
وكنت أروِّى هامتى من عُقارها إذا الحدُّ مأخوذٌ، وإذْ أنا أُضْرَبُ
فلما دروا عنى الحدودَ تركتُها وأضمرت فيها الخير، والخيرُ يطلبُ[٦٣]

فكانت مجاهرته بإثم الشراب تعبيرًا عن واقع يعيشه، ويجدُ فيه لذة لا يمكن أن يقاومها حتى أنه يقول :

هى النار إلا أننى نلتُ لذةً وقضيتُ أوتارى وإن لام لائمُ[٦٤]

وإن كان بعض الدارسين قد عدُّوا أبا محجن رائدا فى وصف الخمر فى الشعر العربى الإسلامى[٦٥]، فإن أبا نواس يُعدُّ بحق وعن جدارةٍ شاعر الخمر الأكبر فى الشعر العربى كله.

فقد استوعب أبو نواس التراث الخمرى الذى خلفه شعراء الخمر قبله منذ الجاهلية، وأضاف إليه رصيدًا من تجربته الشخصية مع الخمر ومن صدقه الفنى الذى يمتاز به شعره.

فأتى وصف الخمر عنده موضوعًا مستقلاً تتكامل له صورته.

وقد مزج حديث الخمر ببعض نزعات عصره المنحرفة، فأتت خمرياته وثيقة لجانب من الحياة الاجتماعية فى عصره[٦٦].

وجدير بالذكر أن أبا نواس لا يُعَدُّ من الزنادقة الملحدين فى ذلك العصر، بل مسلمًا مؤمنًا بالله وحده، يطمع دائمًا فى عفوه ومغفرته، وكان دائم الاعتراف بخطيئته وشعره فى ذلك كثير. وخاصة الذى يعبر فيه عن ندمه ويطلب مغفرة الله ورحمته، مثل قوله :

يا رب إن عَظُمتْ ذنوبى كثرةً فلقد علمتُ بأن عفوك أعظمُ
إن كان لا يرجوكَ إلا مُحسنٌ فبمن يلوذُ ويستجيرُ المجرمُ
أدعوك ربَّ كما أمرتَ تضرعًا فإذا رددت يدى فمن ذا يرحمُ
مالى إليك وسيلةٌ إلا الرجا وجميلُ عفوك ثم أنى مُسلمُ[٦٧]

وقوله :

أيا من ليس لى منه مُجيرُ بعفوكِ من عذابكَ أستجيرُ
أنا العبدُ المُقرّ بكل ذنبٍ وأنت السيدُ المولى الغفورُ
فإن عذبتنى فبسوءِ فِعلى وإن تغفِرْ فأنتَ به جديرُ
أفِر إليك منك وأين إلا إليكَ بفرِ منكَ المستجيرُ[٦٨]

ويبدو أن بلاءه كان ناشئًا من أنه ضعيف الإرادة أمام قوة لذته، التى سيطرت عليه سيطرة قوية، كالآفة التى تسمم الجسد فيصعب على المرء التخلص منها[٦٩]. وهذا ينطبق فى رأيى على موقف أبى محجن من الخمر.

والواقع أن ما وصل إلينا من شعر أبى محجن قصائد قصيرة ومقطعات فى الخمر بنوع خاص، تضم صورًا فنية رائعة. تعتمد كثير منها على التشبيه أو الاستعارة أو الكناية.

ومن المعروف أن النقد العربى القديم اهتم اهتمامًا بالغًا بضروب التشبيه والاستعارة وعدهما أساسًا مهمًا فى التعبير الشعرى، ومما يوضح ذلك قول عبد القاهر الجرجانى عن الاستعارة:

«إن الاستعارة أمد ميدانًا وأشد افتنانًا، وأكثر جريانًا، وأعجبُ حسنًا وإحسانًا، وأوسع سعةً وأبعد غورًا وأذهبُ نجدًا فى الصناعة وغورًا من أن تُجمع شُعبها وشعوبها، وتحصر فنونها وضروبها»[٧٠].

ويقول هذا الناقد فى دلائل الإعجاز :

«قد أجمع الجميع على أن الكناية أبلغ من الإفصاح، والتعريض أوقع من التصريح وأن للاستعارة مزيةً وفضلاً، وأن المجاز أبدًا أبلغ من الحقيقة»[٧١].

على أن عبد القاهر رغم إعلائه من قيمة الاستعارة والتشبيه فى لغة الشعر فإنه لم يجعل لها وحدها ولا لضروب التشبيه القيمة المطلقة، بل جعل القيمة المطلقة للسياق كله، وما يصدر عنه من إبداع. يقول: «إن من الاستعارة ما لا يمكن بيانه إلا بعد العلم بالنظم والوقوف على حقيقته»[٧٢].

ولما كانت مهمة الناقد الحقيقية هى إضاءة العمل الأدبى وتنويره، واستكشاف جوانبه الفنية وعلاقاته، فى ضوء ما يسمى بالقراءة الفاحصة للنص الأدبى[٧٣]، فإنه ينبغى الكشف عن عناصر التصوير ونوع الصور

وطريقة عمل الرموز المستخدمة، لأن كل ذلك جزء لا يتجزأ من المعنى الشعرى، وفى ذلك يقول دكتور محمود الربيعى[٧٤].

«المقابل النثرى للبيت الشعرى ليس هو المعنى الشعرى على الإطلاق، فالنسيج اللغوى والإيقاع الكائن فى الكلمات والتعابير ونوع الصور والرموز المستخدمة، كل ذلك وغيره جزء لا يتجزأ من المعنى الشعرى».

ومن صوره فى الخمر قوله[٧٥] :

صـــاحِبا سوْءِ صَحِبتُها ... صاحباني يوم أرتحِـــلُ

ويقولان: ارتحل معنـــا ... أُنادى : إننى ثَمِـــلُ

إننى بـــاكرت مُتْرَعةً ... مُزَّةً راوُوقها خضِـــلُ

ويبدو الشاعر خلال الأبيات فى صورة ساخرة مخمورًا ثملاً مترنحًا، يتأبى على الرحيل للمنفى. ويدل على ذلك نداء الشرطيين له للرحيل وصراخه فيهما بالرفض والامتناع، ليتلذذ بأثر ما احتساه من خمر الصباح. فكأننا نرى مشهدًا طبيعيًا لرجلٍ أفقده الشراب وعيه، فهو بطىء الحركة ثقيل النفس والجسم معًا.

وإن كانت الأبيات السابقة تحمل روح المرح والدعابة بسبب هذه الصورة الساخرة للمدمن السكير، فقد أتت لديه صور أخرى طريفة، ومنها هذه الصورة:

رماها أميرُ المؤمنين بحتفِها ... فخلاتُها يبكون حولَ المعاصرِ[٧٦]

ففى الشطر الأول تطالعنا صورة الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو يقيم الحدود بجلد شاربى الخمر، ويعبر الشاعر عن المعنى تعبيرًا يوحى بتشدد الخليفة فى إقامة الحد عن طريق الاستعارة المكنية (رماها بحتفها) فكأن الخليفة رمى الخمر برمحه، فأصابها فى مقتل، فصرعها.

ونتج عن مصرعها أن التف مدمنوها حول معاصر الخمر، يبكونها ويرثونها.

وأتى الشاعر بكلمة "خلانها" بدلاً من "شاربوها" لأن الخليل من الخلة وهى الصداقة، فوصفهم بأنهم أصدقاؤها، وأوثق صلة بها. وهو وصف طريف يحمل روح الدعابة والمرح.

كما أن الصورة هنا أتت وسيلة مهمة فى التكثيف الحسى لتجربة الشاعر.

وفى هذين البيتين من مقطعة له نشهد صورة صوتية جميلة، يقول:

وقد تقومُ على رأسى مغنيةٌ فيها إذا رَفَعَتْ من صوتها غُنْجُ

ترفِّعُ الصوت أحيانًا وتَخْفضُهُ كما يَطِنُّ ذُبابُ الروضَةِ الهزجُ[٧٧]

فإن وصف الشاعر للمغنية يجسد صورة صوتية طريفة لتلك الجارية المغنية التى تُطرب الشاربين، وقد بدأ الشاعر بوصف صوتها بالغُنْج، والغُنْجُ فى الجارية تكسُّرٌ وتَدلُّلٌ[٧٨].

وبشطر البيت تقديم وتأخير، والتقدير (فيها غنج إذا رفعت من صوتها)، وإن توظيف الشاعر للشرط فى هذا الوصف أفاد أن الغنج لا يبدو منها إلا إذا رفعت صوتها. ويكمل الصورة الصوتية فى البيت التالى بأنها تُراوح فى غنائها بين رفع الصوت وخفضه للتطريب. ثم شبه هذا الغناء بطنين الذباب[٧٩].

وإن أبا هلال العسكرى -شارح الديوان- كان له رأى فى هذا التشبيه[٨٠]، إذ يقول: «شبَّه الغناء بطنين الذباب، وهو ردىء، لكن الجيد، أن يشبه طنين الذباب بالغناء، كما قال عنترة :

وخلا الذباب بها فليس ببارح غردًا كفعل الشارب المترنِّم»

وأرى اختلافًا بين البيتين فى التشبيه الصوتى، ذلك أن عنترة يعنى وصف سعادة الذباب فى الروضة الغناء، فشبهه بالثمل السكِّير الذى يترنم مغنيًا سعيدًا، فهو يقصد تشبيه الحال. وأما أبو محجن فهو يشبِّه درجة صوت

المغنية المتفاوت بين الحدة والخفض بطنين الذباب المستمر. فيقصد منه الشاعر صفة الاستمرارية، فهو يشبه صوتا بصوت.

ونرى الشاعر بهذا التشبيه قد حقق وظيفة الصورة، فأبو هلال العسكرى يرى أن التشبيه لا يخرج عن واحدٍ من أربعة : «إخراج ما لا تقعُ عليه الحاسةُ إلى ما تقعُ عليه، وإخراج ما لم تجربة العادةُ إلى ما جرت به العادة، وإخراج ما لم يُعرف بالبديهة على ما يُعرف بها، وإخراج ما لا قوة له فى الصنعة على ما له قوةٌ فيها»[٨١].

ومن صوره التى استوقفتنا، هذه الأبيات فى مذمة الخمر :

- **وقال لى النَّدمانُ لما تركتُها أألجدُّ هذا منكَ،أم أنتَ تلعبُ؟**[٨٢]
- **وقالوا: عجيبٌ تركُك اليومَ قهوةً كأنى مجنون وجلدى أجربُ**
- **سأتركُها لله، ثم أذمُّها وأهجرُها فى بيتها حيثُ تُشْرَبُ**

فتحمل الأبيات صورًا مميزة، منها تشبيه الشاعر لنفسه، والندماء يتعجبون منه ويسخرون ثم يتباعدون عنه لتركه الشرب معهم، بالمجنون الأجرب يقول : "كأنى مجنون وجلدى أجرب"[٨٣].

وقد وفق فى رسم صورة نفور الندماء، فأتى بصفة معنوية داعية للنفور وهى "الجنون" ثم بصفة حسية وهى "الجرب". والغرض من هذين التشبيهين إبراز مدى نفور الندماء منه بعد إقلاعه عن الخمر.

يقول ابن رشيق فى العمدة[٨٤] : «التشبيه الحسن هو الذى يُخرجُ الأغمض إلى الأوضح فيفيد بيانًا، والتشبيه القبيح ما كان على خلاف ذلك».

وفى البيت الأخير يصرح الشاعر بالإقلاع عن عادته فى شرب الخمر فيأتى بصورة شعرية جميلة يشخص فيها الخمر بقوله: "وأهجرها فى بيتها حيث تُشربُ" فكأن الخمر امرأته التى يهجرجها ويتخلى عنها، ويتنحى عن بيتها، ويقصد الشاعر تمثيل أهمية الخمر التى كانت تحتلها فى نفسه وفى حياته بأهمية الزوجة ودورها فى حياة الرجل، فأتى بهذه الإستعارة التمثيلية.

ومن صوره فى التخلى عن الخمر قوله :

سأتركها مذمومة لا أذوقها وإن رغمت فيها أنوف حواسدى

فقوله (رغمت أنوف حواسدى) صورة لمذلة حواسده وغيظهم لتركه الشراب. فالرَّغام هو التراب، والمراغم للقوم المغاضب لهم، ورغم أنفه: ذلّ عن كُرْهٍ. وأرغمه الذل[٨٥].

فالتعبير بملاصقة الأنوف للتراب على سبيل الكناية، وقد شرح أبو هلال هذا الشطر بقوله: «وكان حواسده إذا شرب قَرَّتْ عيونُهم، لأنه كان يسقط بذلك عند المسلمين، فلما ترك شربها رغِمَتْ أنوفُهُم، لأنه عزَّ بتركه عِنْدَهم»[٨٦].

إن اعتماد الصورة فى خمريات أبى محجن الثقفى على الاستعارة والتشبيه، كما رأينا، يؤدى إلى تحقيق الوضوح، وتقرير المعنى وتأكيده، ومن ذلك ما قاله الآمدى : «وإنما استعارت العربُ المعنى لما ليس له إذا كان يقاربه أو يناسبه أو يشبهه فى بعض أحواله، أو كان سببًا من أسبابه، فتكون اللفظة المستعارة حينئذ لائقةً بالشىء الذى استعيرت له، وملائمة لمعناه»[٨٧].

وفى البيتين الآتيين يصور الشاعر حرصه على متعة الخمر فى الحياة والموت على السواء، ولذلك فهو يوصى أن يتم دفنه إذا مات فى قرية أو مدينة بعيدًا عن الصحراء، والطائف منشأ الشاعر هى واحدة من القرى العربية كما صنفها ابن سلام الجمحى[٨٨]، كما أن الطائف كانت تشتهر بزرع الكروم[٨٩]، كما أوصى أن يجاور جسده إذا مات جذور شجرة الكروم، يقول:

إذا مُتُّ فادفِنّى إلى أصلِ كرمةٍ تروِّى عظامى فى التراب عروقُها

ولا تدفننّى بالفلاة، فإننى أخافُ إذا ما مُتُّ ألا أذوقَها

فلا شك أن الصورة الشعرية فى البيت الأول والتى أوردها الشاعر فى وصف جذر الشجرة "تروى عظامى فى التراب عروقها"، تشير إلى مدمن

للخمر لا يطيق فراقها حيًّا ولا ميتا، إذ يوصى أن يُدفن مجاورًا جذر شجرة الكرم كى يستمر إرواؤه منها.

وقد نجح فى تصوير حالة الإرواء من الخمر ميتًا، بتصوير عظامه وهى ترتوى بخمر العنب من جذور الشجرة على سبيل الاستعارة، وهى صورة طريفة لا شك. وقد روى ابن قتيبة بإسناد عن الأصمعى عمن قال: «رأيت قبر أبى محجن الثقفى بأرمينية تحت شجرات من كرم»[٩٠]. فكأن تلك الأمنية أو الوصية -إن صح الخبر- قد تحققت له بعد مماته.

وفى نفس القصيدة يورد الشاعر صورة أخرى لإدمانه الخمر، يقول :

-ليَرْوى بخمرِ الحُص[٩١] لحمى فإننى أسيرٌ لها من بعد ما قد أسوقُها

وقد ذكر فى مطلع القصيدة اشتهاء عظامه للإرواء من الخمر، ثم يذكر فى نهايتها اشتهاء لحمه، فكأنه يعنى اشتهاء جسده جميعًا للخمر حياةً وموتًا.

فى الشطر الأول يُكنِّى الشاعر عن شهوته الجامحة للخمر بقوله "ليروى لحمى".

وفى الشطر الثانى من البيت يعبر عن تمكن الشراب من نفسه، فيشبه نفسه بالأسير. وفضلاً عن تصريحه بوصف نفسه بأسير الخمر فهو يأتى بالتضاد فى موقفه منها مما يثير الإشفاق عليه.

فيذكر أولاً شراؤه الخمر من التجار، فيصير مالكًا لها ثم يذكر ثانيًا أنه صار أسيرًا لهذه الخمر المشتراه فلا يمكنه الفكاك من إدمانها: "فإننى أسير لها من بعد ما قد أسوقها"، وهى استعارة تصريحية نجحت فى تحقيق التكثيف الحسى لتجربة الشاعر.

<u>ومن صور إدمانه الخمر، قوله</u> :

فقد أباكرُها ريًّا وأشرَبُها صِرْفًا وأطرَبُ أحيانًا فأمتزِجُ

فالبيت يحمل كناية تحقق صورة مدمن الخمر الذى يدرى متى وكيف يستمتع بخمره، وتتحقق فيها صورة من يهجم على اللذة فى نهم.

إن شعر أبى محجن كشعر غيره من المخضرمين قد تأثر بالقران والحديث، فى المعانى والألفاظ على السواء. وقد غلب على شعره فى طوره الثانى بعد توبته الصبغة الإسلامية، كتوليد المعانى من عقائد الدين الجديد، والاستعانة بصيغ القرآن وتشبيهاته، ولطيف كناياته، واقتباس الألفاظ الإسلامية من الكتاب والسنة وشعائر الدين.

ومن ذلك أبياته فى ذم الخمر[٩٢]:

أتوب إلى الله الرحيم، فإنه ... غفورٌ لذنبِ المرءِ ما لم يُعاودِ
ولست إلى الصهباء ما عشتُ عائدًا، ... ولا تابعًا قول السفيه المُعاندِ
وكيف وقد أعطيت ربى مواثقاً ... أعودُ لها، والله ذو العرش شاهدى
ستأتركها مذمومة لا أذوقها، ... وإن رغمت فيها أنوفُ حواسدى

فالمقطعة تنتشر فيها الألفاظ والمعانى الإسلامية، فمن الألفاظ الإسلامية (أتوب – الله – الرحيم – غفور – ذو العرش – الله شاهدى) وكذلك قوله: "إنه غفور لذنب المرء ما لم يعاود" فإنه يحمل معنى إسلاميًا، لأن معاودة الذنب تكون كالابتداء فيه.

كما يتضح تأثره فى البيت الأخير بالقرآن فى قوله تعالى[٩٣] : ﴿مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾، وفى بيتيه :

رأيت الخمر صالحة وفيها ... مناقب تهلك الرجل الحليما
فلا والله أشربها حياتى ... ولا أشفى بها أبدًا سقيما

ففضلاً عن القسم بالله فى البيت الثانى نلمح أثرًا للآية القرآنية[٩٤]: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الخَمْرِ وَالمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا... ﴾.

والشاعر يذكر الحدّ فى الإسلام، فحدُّ الخمر فى الإسلام هو الجلد ثمانين جلدة، يقول :

وكنتُ أروّى هامتى من عُقارها ... إذا الحدُّ مأخُوذٌ، وإذ أنا أُضْرَبُ
فلما دروا عنّى الحُدُود تركتُها ... وأضمرتُ فيها الخير،والخيرُ يُطلبُ

لقد ذكر بعض النقاد المحدثين أن شعر أبى محجن فى ذم الخمر، وبيان مساوئها، والحسرة على غوايته السابقة وإثمه ومجونه فى فترة ما بعد التوبة، هو شعر بارد فاتر العاطفة، ضعيف النسج. وأنه أقرب إلى النظم والوعظ منه إلى الشعر ذى العواطف الجياشة، والمشاعر الصادقة[٩٥].

وأنا أتفق معه فى هذا الرأى، إذ غلب على أسلوب الشاعر فى أشعار ذم الخمر، والتوبة عنها سماتٌ فى الشكل والمضمون تجعلها أقرب إلى النظم. كوضوح المعنى وسهولة اللفظ، وغلبة الدلالة المباشرة فى التعبير، وضعف الخيال، وهيمنة النزعة الفكرية على الصياغة الفنية.

ومن ذلك قوله :

أتوب إلى الله الرحيم، فإنه ... غفورٌ لذنبِ المرءِ ما لم يُعاودِ
ولست إلى الصهباء ما عشتُ عائدًا، ... ولا تابعًا قول السفيه المُعاندِ
وكيف وقد أعطيت ربى مواثقاً ... أعودُ لها،والله ذو العرش شاهدى[٩٦]

وقوله :

رأيت الخمر صالحةً وفيها ... مناقب تهلك الرجل الحليما
فلا والله أشربها حياتى ... ولا أشفى بها أبدًا سقيما[٩٧]

ويبدو أن بعض المواقف كانت تضطره إلى الارتجال. كما أنه كفَّ عما كان يتغنى به من وصف نشوته بالخمر مما كان يهيج الشاعر ويلهب شعوره، فتجيش نفسه بقوة الشعر.

قال الأصمعى : «الشعرُ نكِدٌ بابه الشر، فإذا دخل فى الخير ضعف[٩٨]، هذا حسان بن ثابت فحلٌ من فحول الجاهلية، فلما جاء الإسلام سقط شعره»[٩٩].

ولقد ذكر ابن قتيبة أن شرب الخمر باعث من بواعث الشعر، قال: «وللشعر دواعٍ تحث البطئ، وتبعث المتكلف، منها الطمع، ومنها الشوق، ومنها الشراب، ومنها الطرب، ومنها الغضب»[١٠٠].

كما ذكر هذا الناقد أن عبد الملك بن مروان سأل أرطأة بن سهية : "هل تقول الآن شعرًا؟" فقال: كيف أقول وأنا ما أشرب ولا أطرب ولا أغضب، وإنما يكون الشعر بواحدة من هذه[١٠١].

وهكذا استطاعت لغة الشاعر أن تحقق غايتها، فقد حملت لنا فى أمانة تأزمَ الشاعر وتوتره إزاء قضية الخمر، كما نقلت إلينا فى صدق صورة الشاعر خلال أزمته تلك، بدرجة يصعب الفصل فيها بين سلوكه وتعبيره. ولذا فقد اتسم شعره بلغة واضحة وصريحة، تعبر عن روح حُرَّة، كما كانت اللغة لديه يسيرة، لا نكاد نشعر فيها بأى أثر للصنعة، والتكلف.

كما أتت أبياته تحمل صورًا تحقق الانفعال الصادق، والمنطلق من حِدَّة إحساسه بالخمر.

ونلاحظ أن شاعرنا يلجأ إلى الأسلوب القصصى المحدود، فيعمد إلى ذكر أفعال القول، ومقول القول. فيعبر بهذا الحوار الذى يورده عن مواقف له إزاء الخمر. ومن ذلك قوله يذم الخمر ويسفه ندمانها :

يقول أناس: اشرب الخمر إنها إذا القوم نالوها أصابوا الغنائما
فقلت لهم: جهلاً كذبتم، ألم تروا أخاها سفيها بعد ما كان حالما؟[١٠٢]

وقد أتى بصورة أخرى لهذا الحوار الذى يورده معبرًا عن موقفه فى هجر الخمر، وصموده أمام إغراء الندمان وسخريتهم منه، يقول[١٠٣]:

وقال لى الندمانُ لما تركتُها	"أألجذ هذا منك، أم أنت تلعبُ؟"
وقالوا: عجيبٌ تركُك اليوم قهوةَ	كأنى مجنون وجلدى أجربُ

ومن ذلك أيضًا تمثيله لموقف رحيله عندما نفاه الخليفة عمر، فيصور الشاعر عبر الحوار الذى أورده بينه وبين حارسيْه، حالته مخمورًا مترنحًا لا يقوى على المسير، يقول[١٠٤]:

صاحبا سوء صحبتهما	صاحبانى يوم أرتحلُ
ويقولان : ارتحل معنا	فأنادِى: إننى ثملُ
إننى باكرتُ مترعةً	مُزَّةً راووقها خَضِلُ

ونلاحظ أن الأبيات السابقة تحمل موسيقية واضحة، فالبيت الأول تكررت فيه مادة "صحب" ثلاث مرات: صاحبا – صحبتها – صاحبانى، كما تكررت مادة "رحل" مرتين فى البيتين الأول والثانى، بالفعل المضارع "أرتحل" ثم بالفعل الأمر "ارتَحِل"، وكذلك صفتى الخمر فى البيت الأخير، اللتين تبدآن بحرف الميم "مترعة – مزة"، بالإضافة إلى خفة وقع اللام المضمومة فى القافية.

ويبدو أن الأبيات السابقة لاقت استحسانًا من المغنين لموسيقيتها، ولذلك فقد عدها أبو الفرج الأصفهانى صوتًا ضمن أصوات كتابه الأغانى[١٠٥].

ومن أبياته التى حمَّلها طربًا وموسيقى قوله :

فقد أباكرها ريًا وأشربُها	صرفا وأطربُ أحيانًا فأمتزجُ

فقد عدَّد الأفعال بنفس الأوزان "أباكرُ، أشربُ، أطربُ"، مما أكسب البيت قيمة موسيقية عالية.

وإن هذه الوسائل الموسيقية التى يوظفها الشاعر، كالتشديد، والتكرار لتعدُّ صورة من صور الإيقاع. ويعرِّف أحد النقاد الإيقاع بأنه: «تتابع منتظم لمجموعة من العناصر، وهذه العناصر قد تكون أصواتًا، مثل دقات الساعة، وقد تكون حركات مثل نبضات القلب»(١٠٦).

والبيتان الآتيان يتميزان أيضًا بعناصر صوتية تحقق درجة من الموسيقى المألوفة فى خمرياته، يقول :

إذا مُتُّ فادفِنى إلى أصلِ كرمةٍ تُروِّى عظامى فى الترابِ عروقُها
ولا تفدننِّى بالفلاةِ، فإننى أخافُ إذا ما مُتُّ ألا أذوقَها

فالتشديد فى البيت الأول : متُّ، ادفنِّى، تروِّى.
وفى البيت الثانى : تدفننِّى، فإنَّنى، متُّ

مما يمنح البيتين موسيقى واضحة، فضلاً عن تكثيف بعض المعانى.

وإن فعل الأمر المقترن بالفاء فى البيت الأول (فادفنى) خرج عن معنى الأمر إلى معنى الرجاء. وإن اقتران فعل الأمر بالفاء قد أفاد تعاقب الحدث. وكذلك تقديمه لفعل الإرواء مُضعَّفًا فى بداية الشطر الثانى على سائر الجملة "تروِّى"، يفيد تطلعه للإرواء ميتًا من عروق شجرة الكروم.

وفى البيت الثانى أفاد بالفعل المضارع "أخاف" والأمر "لا تدفننى" معنى كراهيته للصحراء حيًّا وميتًا، وقد كان أبو محجن من أهل القرى العربية، كما ذكر ابن سلام. ولذلك فهو ينهى عن دفنه بالبادية.

وإن اتصال ضمير المتكلم الياء بالفعل "تدفن"، يُعدُّ تأكيدًا للنهى عن ذلك.

ويرى أحد النقاد المحدثين(١٠٧) أن البيت الأخير(١٠٨) الوارد بالديوان **موقعه بعد هذين البيتين :**

ليروَى بخمر الحص لحمى فإننى أسيرٌ لها من بعد ما قد أسُوقُها

فالشاعر يؤكد فيه الإرواء فى بداية البيت بوسيلتين؛ أولاً بلام الأمر، وثانيًا بالفعل المبنى للمجهول "يروى" وكذلك فى نهايته يؤكد على تمسكه بخمره فى قوله: "ما قد أسوقها"، فقد أكد الفعل "أسوق" بـ "ما المصدرية" و"قد" التى تفيد التحقيق.

كما وصل الفعل المضارع بالضمير "ها" ليعلن اتصاله المباشر بالخمر وتسوقه المستمر لها ليُشبع لذته.

وهكذا تتضح قيمة العلاقات النحوية ركيزة للنص، ومدخلاً لإضاءة القصيدة، وكشف بعض أسرارها اللغوية، وإدراك العلاقات فيها(١٠٩).

ويؤكد د. مصطفى ناصف فاعلية النظام النحوى فى خلق المعنى المتعدد، وأن هذه الفاعلية جزء أساسى من حيوية اللغة وقدرتها على أداء كثير من وظائفها(١١٠).

وإن توالى الأفعال كما أوردنا لدى الشاعر يساعد على تحقيق عنصر الحركة فى صوره، وهذا يتفق مع طبيعة الشاعر، إذ أن طبيعته فارسًا تقتضى منه الحركية، فهو لا يستطيع إلا أن يكون انفعاله حركيًا، وبالتالى فإن إبداعه موازيًا لحركته.

وإن كان شعره هو تجسيد أدبى لحالاته الشعورية فى مواقفها المتعددة؛ تارة فى فروسيته وتارة فى خمرياته. عاشقًا لها حينًا وهاجرًا لها حينًا آخر، فقد أتت لغته مجسِّدة لهذه المواقف جميعًا ومعبِّرة عن عالمه الداخلى بكل الأبعاد التى تجسد شخصيته وحياته معًا.

يقول أحد النقاد المحدثين(١١١):

«واللغة فى العمل الأدبى ليست وعاءً خارجيًا، وليست شكلاً لمضمون ما. إنها "تشكيل" مؤثر هو الشكل وهو المحتوى، وهو الوسيلة والغاية.

إن المنهج اللغوى إذ أحسن استخدامه يسلم إلى المعنى الحقيقى للعمل الأدبى، كما يسلم إلى فلسفته، وهدفه، وقيمته، وغير ذلك من الأهداف المتوخاة من التحليل الأدبى».

إن الرؤية النقدية التحليلية لشعر أبى محجن فى الخمر تنتهى بنا إلى القول، بأن الخمر كانت واقعًا حيًا فى حياة هذا الشاعر، وكان صادقًا فى عرض تجربته فيها، وصادقًا أيضًا فى وصف عزوفه عنها، وقد استمد من واقعه مادته الفنية.

وقد جمع الشاعر بين وصف لذته بالخمر، ووصف حفاظه على أخلاق الفارس، التى تتمثل فى العفة والنجدة وحماية الجار وإكرام الضيف، وكلها أخلاق السادة النبلاء.

ويبدو لى أن عكوفه على شرب الخمر فترة طويلة من حياته بعد الإسلام، يرجع إلى أنه كان ضعيف الإرادة أمام لذته، التى أدمنها مثل أبى نواس.

أما من حيث الناحية الفنية فقد عرض الشاعر فى خمرياته صورًا مبتكرة ومميزة تعبر عن شدة إحساسه بالخمر، إضافة إلى عنصر الحركة البارز لديه، والمناسب لطبيعة الفارس.

كما اتسم شعره بلغة واضحة وصريحة تعبر عن روح حرة.

وقد وردت ألفاظ الخمر فى شعره، تحمل دلالات بيئية مألوفة فى عصره، كما حمَّل لغته قدرًا من الموسيقى تناسب روح المرح والدعابة التى ظهرت فى خمرياته فى مرحلة ما قبل التوبة.

الهـــوامش :

(١) هو عمرو بن حبيب الثقفى. وقيل اسمه مالك، وقيل عبد الله، وكنيته أبو عبيد. انظر الإصابة فى تمييز الصحابة، لشهاب الدين أبى الفضل أحمد بـن علـى العـسقلانى المعروف بابن حجر، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٢م، القـسم الأول، ص ١٢٨. وانظر طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحى، شـرح محمـود شـاكر، مطبعـة المدنى، القاهرة، ١٩٧٤م، السفر الأول، شعراء الطـائف، ص ٢٥٩، ٢٦٨، ٢٦٩. والأغانى (طبع الهيئة)، ج١٩، ص ١، والشعر والشعراء لابن قتيبة، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار التراث العربى، القاهرة، ١٩٧٧م، ج٢، ص ٤٣٠.

(٢) ورد بالإصابة أن عمر بن الخطاب حدّ أبا محجن بن حبيب ابن عمـرو بـن عميـر الثقفى فى الخمر سبع مرات، انظر حرف الميم، القـسم الأول، ص ١٧١. وانظـر الأغانى (الهيئة)، ج١٩، ص ٢.

(٣) ذكر ياقوت أن حَضَوْضَى جبل فى الغرب، كانت العرب فـى الجاهليـة تنفـى إليـه خلعاءها. انظر معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندى، دار الكتب العلميـة، بيروت، ١٩٩٠م، ج٢، ص ٣١٤.

(٤) وقال فى ذلك يذكر هربه من ابن جهراء :

الحمـدُ لله نجانـى وخلّصنـى من ابن جهراءَ والبُوصىُّ قد حُبِسَـا
من يجشَمِ البحرَ والبوصىُّ مركبُه إلى حَضَوْضَى فبئس المركبُ التمسا
أبلغْ لديك أبـا حَفْـص مُغَلْغِلَة عبدَ الإلهِ إذا ما غـارَ أو جَلَسَـا
أنِّى أكُرُّ عـلى الأولى إذا فَزِعوا يومًـا وأحبس تحت الرايةِ الفَرَسَـا
أغشَى الهِياجَ وتغشانى مُضَاعَفَةٌ من الحديد إذا مـا بعضُهم خَنَسَـا

الأغانى (الهيئة)، ج١٩، ص ١، ٢.

(٥) وقيل هى سلمى بنت أبى حفصة. انظر المرجع السابق، ج١٩، ص ٥.

(٦) انظر الأغانى (الهيئة)، ج١٩، ص ٥.

(٧) هذا البيت لم يرد إلا لدى ابن قتيبة. انظر الشعر والشعراء، ج١، ص ٤٣٠.

(٨) الإصابة فى تمييز الصحابة – حرف الميم، القسم الأول، ص ١٧٠.

(٩) انظر القصة متعددة التفاصيل : تاريخ الطبرى، تحقيق محمد أبو الفـضل إبـراهيم، ط٣، دار المعارف، ج٣، أحداث سنة ١٤هـ، ص ٥٦٣ : ٥٧٩.

- الإصابة فى تمييز الصحابة، حرف الميم، القسم الأول، ص ١٧٠.
- الأغانى (طبع الهيئة)، ج ١٩، ص ١ : ٦.
- الشعر والشعراء لابن قتيبة، ج١، ص ٤٣٠ - ٤٣١.
- لسان العرب لابن منظور، ج٥، ص ٣٢٥٢، ٣٤٧١، ٣٤٧٤.

وانظر أيضًا تاريخ آداب اللغة العربية، جرجى زيدان، الطبعة الثالثة، مطبعة الهلال، القاهرة، ١٩٣٦م، ج١، ص ١١٩. وتاريخ الأدب العربى، كارل بروكلمان، أشرف على الترجمة العربية أ.د/ محمود فهمى حجازى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م، القسم الأول، ص ٢٢٦.

(١٠) أُلَّيس: فتحها خالد بن الوليد فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنهما، وقال خالد بن الوليد : لقد قاتلت يوم مؤتة وانقطع فى يدى تسعة أسياف، وما لقيت قومًا كقوم لقيتهم من أهل الفرس، وما لقيت من أهل فارس قومًا، كأهل أليس. انظر معجم البلدان، الجزء الأول، ص ٢٩٤.

(١١) المرجع السابق، ج١، ص ٢٩٤.

(١٢) فى تعريف الخمر، قال ابن قتيبة: أجمع الناس على أن ما غلى وقذف الزَّبد من عصير العنب، من غير أن تمسه النار خمرٌ، وأنه لا يزال خمرًا حتى يصير خلاً. الأشربة وذكر اختلاف الناس فيها لابن قتيبة، تحقيق ياسين محمد السواس، دمشق، دار الفكر، ١٩٩٨م، ص ٢٩.

بينما يورد السرى بن أحمد الرفاء فى كتابه "المشروب" أن الخمر مشتق معناها من ثلاثة أشياء: أولها من خمرت الشىء، أى غطيته، كأنها تغطى عقول الناس الشاربين. كما يورد أن الخمرة "السَّجادة" لأنها تخمر موضعها من الأرض. والخمار: المِقْنَعَةُ لأنها تَخْمُرُ الرأس. والوجه الثانى من الاشتقاق أنه لطيب رائحتها، وذكاء نشوتها سُميت خمرًا، تقول وجدت خمرة الطيب أى رائحته. والوجه الثالث أنه من خامرنى الهمُّ أى خالطنى، وداءٌ مخامرٌ، أى مخالطٌ للبدن، كأنها تخامر الأبدانَ والعقولَ أى تخالطها. (الجزء الرابع من كتابه "المحب والمحبوب والمشموم"، تحقيق ماجد حسن الذهبى، دمشق ١٩٨٦م، ص ١٦، ٢٢، ٢٩).

كما أورد الفيروزبادى فى معنى الخمر أن العموم أصح "لأن الخمر حُرِّمت وما بالمدينة خمرُ عنب وما كان شرابهم إلا البُسْر والتمر" انظر القاموس المحيط، ج٢، فصل الخاء باب الراء، مادة "خمر".

(١٣) انظر د. محمد محمد حسين، "أساليب الصناعة فى شعر الخمر والأسفار بين الأعشى والجاهليين"، المكتبة الشرقى، بيروت ١٩٥٩م، ص ٧، ويورد ما روى أن سبب عدول الأعشى عن الإسلام هو الخمر، كما ذكر أن رُوى للأعشى ما يقرب من مائة وخمسين بيتًا فى الخمر.

وانظر أيضًا للدكتور محمد محمد حسين مقدمة ديوان الأعشى، فقد أحصى معانى الأعشى فى الخمر التى تداولها الشعراء من بعده، وأشهرهم الأخطل وأبو نواس. ديوان الأعشى، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٤م، ص ٣٢.

(١٤) لقد وضعه ابن سلام على رأس الطبقة السادسة من فحول شعراء الجاهلية "طبقات فحول الشعراء، السفر الأول، ص ١٥٠" كما أشاد بمعلقته التى مطلعها :

ألا هبى بصحنك فاصبحينا ولا تبقى خمور الأندرينا

وقد تناول بعض النقاد المحدثين هذا المطلع بالدراسة ووصفوه بالبراعة فى الاستهلال إذ يشير إلى روح الانطلاق والإقبال على متع الحياة. انظر د. يوسف خليف، دراسات فى الشعر الجاهلى، دار غريب، القاهرة، ١٩٨١م،ص ١٥٥: ١٦٠. د. صلاح رزق،شعر المعلقات فى ضوء الدراسة التحليلية والرؤية المعاصرة، القسم الأول، ط٢، دار الثقافة العربية، ١٩٨٩م، ص ٣٦– ٣٧.

(١٥) إذا كان الأدباء والنقاد قد اختلفت مذاهبهم فى تمييز المخضرم من الشعراء، فإنهم قد اتفقوا جميعًا أن طبقة الشعراء المخضرمين هم الذين أسهموا فى بناء الحياة الأدبية بشعر جاهلى فى أخريات الجاهلية وبشعر إسلامى فى فجر الإسلام. انظر تعريف المخضرم: خزانة الأدب للبغدادى، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤٧هـ، ص ٢٤٥، تاريخ آداب العرب للرافعى، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م، ٣ / ٤٦، تاريخ الأدب العربى كارل بروكلمان، القسم الأول، ص ٦١: ٦٩.

(١٦) انظر قصيدته : عفت ذاتُ الأصابع فالجواءُ إلى عذراءَ منزلُها خلاءُ

ويقول فيها فى ذكر الخمر :كأن سبيئة من بيت رأسٍ يكون مزاجُها عسلٌ وماء

على أنيابها أو طعمَ غضٌ من التفاح هصرَه الجناءُ

إذا ما الأشرباتُ ذُكِرنَ يومًا فهنَّ لطيِّب الراح الفداءُ

نولِّيها الملامةَ إنْ ألَمْنَا إذا ما كان مغثٌ أو لحاءُ
ونشربها فتتركنا ملوكًا وأسدًا ما يُنَهْنِهُنَا اللقاءُ

شرح ديوان حسان بن ثابت لعبد الرحمن البرقوقى، نشر دار الكتاب العربى، بيروت، لبنان، ١٩٩٠م، ص ٥٦، ٥٧.

(١٧) تذكر الأخبار أنه كان لا يستخفى بمجونه وإدمانه، ومن ذلك قوله يتحدث عن استنزاف الخمر ماله، وواصفًا مجلس شرابه :

أفنى تِلادى وما جمَّعتُ من نَشَبٍ قرعُ القواقيزِ أفواهَ الأباريق
كأنهن، وأيدى القوم مُعملَةٌ إذا تلألأن فى أيدى الغرانيق
بناتُ ماءٍ معًا بيضٌ جناجِنها حُمْرٌ مناقيرُها صُفْرُ الحماليق
هى اللذاذةُ ما لم تأتِ منقصةً أو ترمِ فيها بسهمٍ ساقِطَ الفُوق

انظر الشعر والشعراء، ج٢، ص ٥٦٣ : ٥٦٦.

(١٨) هو قيس بن عمرو بن مالك الحارثى وكان فاسقًا رقيق الإسلام، وبلغ من استهتاره ومجونه أنه كان يعكف على الخمر مع بعض خلانه فى شهر الصوم، متحديًا بذلك مشاعر المسلمين فى الكوفة، وقد جاءوا به ذات يوم شاربًا فى رمضان، فجلده على بن أبى طالب حد الشرب، ثم زاده عشرين سوطًا، فقال: ما هذه العلاوة يا أبا الحسن؟ قال: لجرأتك على الله، فهجا أهل الكوفة هجاءً مرًّا موجعًا. انظر الشعر والشعراء، ج١، ص ٣٣٦ : ٣٤٠.

(١٩) انظر محمد إبراهيم جمعه، حسان بن ثابت، دار المعارف، ط٣، ١٩٨٢م، ص ١٠.

(٢٠) ابن قتيبة، الأشربة، ص ٣٧.

(٢١) المرجع السابق، ص ٣٧.

(٢٢) الأمالى لأبى على القالى، الجزء الأول، مطبعة دار الكتب المصرية، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٠م، ص ٢٠٤.

(٢٣) المرجع السابق، ص ٢٠٤.

(٢٤) المرجع السابق، ص ٢٠٥.

(٢٥) شرح المعلقات السبع للزوزنى (أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزنى)، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، بدون تاريخ، ص ٨٨.

(٢٦) المرجع السابق، ص ١١٧.

(٢٧) المرجع السابق، ص ٩٥.

(٢٨) انظر دراسات فى الشعر الجاهلى، د. يوسف خليف، ص ١٥٥.

(٢٩) كان مصدرنا لشعر أبى محجن هو: ديوان أبى محجن الثقفى بشرح أبى هلال العسكرى، تحقيق: يوسف عبد الوهاب، مكتبة القرآن بالقاهرة، ١٩٩٥م، وكتاب الأغانى (الهيئة)، ج١٩، والشعر والشعراء لابن قتيبة، ج١.

وإن ديوان أبى محجن الثقفى الذى جمعه أبو هلال العسكرى يضم ستة عشر نصًا، من القصائد القصار والمقطعات. أطولها قصيدته اللامية (ديوان أبى محجن، ص ٣٧)، وهى تقع فى أحد عشر بيتًا. وقد ألحق المحقق يوسف بن عبد الوهاب بهذه النصوص ثمانية من النصوص الموثقة القصيرة، أطولها نص يقع فى ثمانية أبيات (ديوان أبى محجن، ص ٥٦). فأبو محجن شاعر مقل مغمور كما وصفه أبو هلال العسكرى.

(٣٠) شرح ديوان أبى محجن، ص ٤٢ – ٤٣.

(٣١) المعلقات السبع للزوزنى، ص ١١٦ : ١١٧.

(٣٢) المرجع السابق، ص ٨٨ – ٨٩.

(٣٣) المرجع السابق، ص ٤٨ – ٤٩.

(٣٤) نلاحظ اهتمام هذا الناقد بالمعانى بدليل تأليفه لكتاب (ديوان المعانى).

(٣٥) شرح ديوان أبى محجن الثقفى لأبى هلال العسكرى، ص ٢٥ : ٣٠.

(٣٦) انظر تعليق أبى هلال العسكرى على الأبيات، ص ٣٠ – ٣١، شرح ديوان أبى محجن.

(٣٧) الإصابة فى تمييز الصحابة، القسم الأول، حرف الميم، ص ١٧١.

(٣٨) شرح ديوان أبى محجن، ص ٤٣ – ٤٤.

(٣٩) المرجع السابق، ص ٥٦.

(٤٠) المرجع السابق، ص ٥٢.

(٤١) المرجع السابق، ص ٤٦.

(٤٢) المرجع السابق، ص ٤٢.

(٤٣) يرى أحد الدارسين لشعر الخمر «أن هذه التوبة المتأخرة التى تفد عندما يبلغ المرء من العمر أرذله. قد تفقد دلالتها النفسية والوجودية، لأن النفس تركد آنئذ ويعجز صاحبها عن مواقعة الشهوات". انظر فن الشعر الخمرى وتطوره عند العرب، إيليا الحاوى، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٩٧م، ص ٩٣.

(٤٤) شرح ديوان أبى محجن، ص ٤٠ – ٤١.

(٤٥) المرجع السابق، ص ٥٣.

(٤٦) المرجع السابق، ص ٤٦ – ٤٧.

(٤٧) المرجع السابق، ص ٥٣.

(٤٨) المشروب للسرى الرفاء، ص ٦٥.

(٤٩) انظر شرح ديوان أبى محجن، ص ٤١.

(٥٠) انظر المشروب، ص ٤٥.

(٥١) ابن قتيبة، الأشربة، ص ٨٣.

(٥٢) المرجع السابق، ص ٨٣، والمشروب، ص ٤٥.

(٥٣) انظر المشروب، ص ٤٥ – ٤٦.

(٥٤) المرجع السابق، ص ٣٨، وقد ذكر السرى الرفاء ورود التسمية عند الأعشى مما يدل على قدمها:

معتقةٌ قهوةٌ مُزةٌ لها زبدٌ بين كوبٍ ودنْ.

(٥٥) المشروب، ص ٤٤.

(٥٦) انظر القاموس المحيط مادة غبق، ج٣.

(٥٧) القاموس المحيط، ج٣، فصل التاء باب العين.

(٥٨) انظر الأشربة لابن قتيبة، ص ٤٩، ٥٠. وقد استشهد بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وصف الجنة: "فيها أنهار من عسل مصفى، وأنهار من كأس ما بها من صداع ولا ندامة".

(٥٩) انظر اللغة وبناء الشعر، د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ٢٩.

(٦٠) انظر شرح شرح ديوان أبى محجن، ص ٤٢، ٤٦، ٥٢، ٥٩، ٦٠.

(٦١) المرجع السابق، ص ٥٩.

(٦٢) المرجع السابق، ص ٤٠، ٤١، ٤٥، ٦١.

(٦٣) المرجع السابق، ص ٤٥.

(٦٤) المرجع السابق، ص ٤٢.

(٦٥) انظر د. عبده بدوى، دراسات فى النص الشعرى – عصر صدر الإسلام وبنى أمية، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٩١.

(٦٦) انظر: د. يوسف خليف، فى الشعر العباسى نحو منهج جديد، مكتبة غريب، "بدون تاريخ"، ص ٥٠ – ٦٧.

(٦٧) ديوان أبى نواس، إعداد قسم الدراسات بإشراف الأستاذ غسان شديد، دار نوبليس، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٤م – ٢٠٠٥م، ج٧، ص ١٢١٠.

(٦٨) المرجع السابق، ج٤، ص ٦٨٠.

(٦٩) انظر د. عثمان موافى، التيارات الأجنبية فى الشعر العربى منذ العصر العباسى حتى نهاية القرن الثالث الهجرى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٦م، ص ٢٥٨ – ٢٦٢.

(٧٠) أسرار البلاغة فى علم البيان، تأليف الإمام عبد القاهر الجرجانى، تحقيق السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية (بدون تاريخ).

(٧١) دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجانى، تعليق وشرح محمد عبد المنعم خفاجى، الطبعة الأولى، مكتبة القاهرة، مصر، ١٩٦٩م، ص ١٠٩.

(٧٢) المرجع السابق، ص ١٢٠.

(٧٣) انظر د. محمد حماسة عبد اللطيف، اللغة وبناء الشعر، ص ٢٨– ٢٩.

(٧٤) قراءة الشعر، د. محمود الربيعى، دار غريب، القاهرة، ١٩٨٥م، ص ١٢١.

(٧٥) شرح ديوان أبى محجن، ص ٦٠.

(٧٦) المرجع السابق، ص ٥٩.

(٧٧) المرجع السابق، ص ٤٧.

(٧٨) لسان العرب، ج٥، مادة "غنج".

(٧٩) ويقول المثقب العبدى فى وصف صوت الذباب:

وتسمع للذباب إذا تغنى كتغريد الحمام على الوكون

انظر المفضليات، تحقيق وشرح أحمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، الطبعة الثامنة، ١٩٩٣م، ص ٢٩١.

(٨٠) انظر شرح ديوان أبى محجن، ص ٤٧.

(٨١) انظر الصناعتين (الكتابة والشعر) لأبى هلال العسكرى، حققه وضبط نصه د/ مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٤م، ط٢، ص ٢٦٢ : ٢٦٥.

(٨٢) شرح ديوان أبى محجن، ص ٤٥، ٤٦.

(٨٣) وشبيه بهذا التشبيه قول النابغة الذبيانى :

فلا تتركنى بالوعيد كأننى إلى الناس مطلىٌّ به القار أجرب

"ديوان النابغة الذبيانى، تحقيق وشرح كرم البستانى، مكتبة صادر، بيروت ١٩٥٣م، ص ٢٤".

(٨٤) العمدة فى محاسن الشعر وآدابه، لأبى على الحسن بن رشيق القيروانى، تحقيق الدكتور محمد قرقزان، مطبعة الكاتب العربى بدمشق، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م، ص ٤٨٩.

(٨٥) القاموس المحيط، ج٤ مادة (الرغم).

(٨٦) شرح ديوان أبى محجن، ص ٤٢.

(٨٧) الموازنة بين شعر أبى تمام والبحترى لأبى القاسم الحسن بن بشر الآمدى، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف بمصر، ط٢، ١٩٧٢م، ج١، ص ٢٦٦.

(٨٨) طبقات فحول الشعراء، السفر الأول، ص ٢١٥.

(٨٩) ذكروا أن ثروة الطائف الاقتصادية قبل الإسلام كانت تعتمد على العنب. (انظر تاريخ العرب قبل الإسلام، د. محمد عبد العزيز سالم، مؤسسة الثقافة الجامعية بالإسكندرية (بدون تاريخ). كما أورد ياقوت الحموى أن سليمان بن عبد الملك لما أدى فريضة الحج مرَّ بالطائف، فرأى بيادر الزبيب، فقال : ما هذه الحرار؟ قالوا: ليست حرارًا ولكنها بيادر الزبيب. (معجم البلدان، ج٣، ص ١٠ : ١٤).

كما ذكروا أن كان "بوهط" من الطائف كروم كثيرة لعمرو بن العاص، وأن والده العاص بن وائل السهمى كانت له أموال ومزارع بوهط، ومات وهو فى شعب من شعب الطائف. (انظر معجم البلدان، "وهط"، ج٥، ص ٤٤٤).

(٩٠) الأشربة، ص ٤٨.

(٩١) الحُص بالضم: موضع بنواحى حمص ينسب إليه الخمر. ياقوت، ج٢، ص ٧٤.

(٩٢) شرح ديوان أبى محجن، ص ٤١ – ٤٢.

(٩٣) سورة النساء، آية ١٠٠.

(٩٤) سورة البقرة، آية ٢١٩.

(٩٥) انظر د/ يحيى الجبورى، شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠م، ص ١٨٨.

(٩٦) شرح ديوان أبى محجن، ص ٤١.

(٩٧) المرجع السابق، ص ٦١، ٦٢.

(٩٨) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج١، ص ٣١١.

(٩٩) انظر قضية اللين فى إسلاميات حسان بن ثابت بكتاب حسان بن ثابت، محمد إبراهيم جمعة، دار المعارف، ط٣، مجموعة نوابغ الفكر العربى، ص ٤٦ وما بعدها. والشعراء المخضرمون، د/ عبد الحليم حفنى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣م، القاهرة، ص ٢٣٤ : ٢٥٣، وشعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه، د/ يحيى الجبورى، ص ٤٥.

(١٠٠) الشعر والشعراء، ج١، ص ٨٤.

(١٠١) المرجع السابق، ج١، ص ٨٦.

(١٠٢) شرح ديوان أبى محجن، ص ٤٠.

(١٠٣) المرجع السابق، ص ٤٥ – ٤٦.

(١٠٤) المرجع السابق، ص ٦٠.

(١٠٥) الأغانى (الهيئة)، ج ١٩، ص ٣.

(١٠٦) انظر د. على يونس، نظرة جديدة فى موسيقى الشعر العربى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م، ص ١٧.

(١٠٧) انظر د. عبده بدوى، دراسات فى النص الشعرى، عصر صدر الإسلام وبنى أمية، ص ٩٤.

(١٠٨) هذا البيت لم يرد إلا فى الأغانى، انظر الأغانى (الهيئة)، ج١٩، ص ٧.

(١٠٩) انظر د. محمد حماسة عبد اللطيف، اللغة وبناء الشعر، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ١١.

(١١٠) د. مصطفى ناصف، دراسة الأدب العربى، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ص ٢١٤.

(١١١) انظر د. محمود الربيعى، قراءة الشعر، ص ١١.

ثبت المصادر والمراجع

١- **الأصفهانى: أبو الفرج على بن الحسين**

الأغانى، "الجزء التاسع عشر"، تحقيق عبد الكريم إبراهيم العزباوى، إشراف محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٢م.

٢- **الآمدى : أبو القاسم الحسن بن بشر**

الموازنة بين شعر أبى تمام والبحترى، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، ١٩٧٢م.

٣- **بدوى: عبده "دكتور"**

دراسات فى النص الشعرى – عصر صدر الإسلام وبنى أمية، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٤- **البرقوقى : عبد الرحمن**

شرح ديوان حسان بن ثابت، نشر دار الكتاب العربى، بيروت – لبنان، ١٩٩٠م.

٥- **بروكلمان : كارل**

تاريخ الأدب العربى، أشرف على الترجمة العربية أ.د. محمود فهمى حجازى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م.

٦- **البستانى : كرم**

شرح ديوان النابغة الذبيانى، مكتبة صادر، بيروت، ١٩٥٣م.

٧- **البغدادى : عبد القادر بن عمر**

خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤٧هـ.

٨- **الثقفى : أبو محجن (عمرو بن حبيب الثقفى)**

ديوان أبى محجن الثقفى بشرح أبى هلال العسكرى، وتحقيق عبد الوهاب يوسف، مكتبة القرآن بالقاهرة، ١٩٩٥م.

٩- **الجبورى : يحيى (دكتور)**

شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه، الناشر مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٠م.

١٠- **الجرجانى : الإمام عبد القاهر**

- أسرار البلاغة فى علم البيان، تحقيق السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، بدون تاريخ.

- دلائل الإعجاز، تعليق وشرح محمد عبد المنعم خفاجى، الطبعة الأولى، مكتبة القاهرة، ١٩٦٩م.

١١- **الجمحى: محمد بن سلام**

طبقات فحول الشعراء، شرح محمود محمد شاكر، مطبعة المدنى، القاهرة، ١٩٧٤م.

١٢- **جمعة : محمد إبراهيم**

حسان بن ثابت، دار المعارف، الطبعة الثالثة، ١٩٨٢م.

١٣- **الحاوى : إيليا**

فن الشعر الخمرى وتطوره عند العرب، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٩٧م.

١٤- **حسين : محمد محمد "دكتور"**

- أساليب الصناعة فى شعر الخمر والأسفار بين الأعشى والجاهليين، المكتب الشرقى، بيروت، لبنان، ١٩٥٩م.

- ديوان الأعشى الكبير، دار النهضة العربية - بيروت، ١٩٧٤م.

١٥- **حفنى : عبد الحليم (دكتور)**

الشعراء المخضرمون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٣م.

١٦- **الحموى : ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى**

معجم البلدان، طبعة دار الكتب العلمية، تحقيق فريد عبد العزيز الجندى، بيروت، ١٩٩٠م.

١٧- **خليف : يوسف "دكتور"**

- دراسات فى الشعر الجاهلى، دار غريب، القاهرة، ١٩٨١م.

- فى الشعر العباسى نحو منهج جديد، مكتبة غريب (بدون تاريخ)

١٨- **الدينورى : عبد الله بن مسلم بن قتيبة**

- الأشربة وذكر اختلاف الناس فيها، تحقيق ياسين محمد السوّاس، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٨م.

- الشعر والشعراء، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار التراث العربى، القاهرة، ١٩٧٧م.

١٩- **الرافعى : مصطفى صادق**

تاريخ آداب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.

٢٠- **الربيعى : محمود (دكتور)**

قراءة الشعر، دار غريب، القاهرة، ١٩٨٩م.

٢١- **رزق : صلاح (دكتور)**

شعر المعلقات فى ضوء الدراسة التحليلية والرؤية المعاصرة، الطبعة الثانية، دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٩٨٩م.

٢٢- **الرفّاء : السرى الرَّفاء**

- المحب والمحبوب والمشموم والمشروب، تحقيق ماجد حسن الذهبى، دمشق ١٩٨٦م.

٢٣- **الزوزنى : أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين**

شرح المعلقات السبع، الناشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر (بدون تاريخ)

٢٤- **زيدان : جرجى**

تاريخ آداب اللغة العربية، الطبعة الثالثة، مطبعة الهلال، القاهرة، ١٩٣٦م.

٢٥- **سالم : محمد عبد العزيز (دكتور)**

تاريخ العرب قبل الإسلام، الناشر مؤسسة الثقافة الجامعية بالإسكندرية (بدون تاريخ).

٢٦- **شديد : غسان**

شرح ديوان أبى نواس، دار نوبليس، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٤م-٢٠٠٥م.

٢٧- **الضبى : المفضل بن محمد بن يعلى الضبى**

المفضليات، تحقيق وشرح أحمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، الطبعة الثامنة، ١٩٩٣م.

٢٨- **الطبرى : أبو جعفر محمد بن جرير**

تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، الطبعة الرابعة، ١٩٩٠م.

٢٩- **عبد اللطيف : محمد حماسة "دكتور"**

اللغة وبناء الشعر، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠١م.

٣٠- **العسقلانى: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على العسقلانى المعروف بابن حجر**

الإصابة فى تمييز الصحابة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م.

٣٠- **العسكرى: أبو هلال**

الصناعتين (الكتابة والشعر)، حققه وضبط نصه دكتور مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م.

٣١- **الفيروزبادى : العلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادى الشيرازى**

القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م.

٣٢- **القالى : أبو على إسماعيل القالى البغدادى**

الأمالى، الناشر مطبعة دار الكتب المصرية، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٠م.

٣٣- **القيروانى : الحسن بن رشيق**

العمدة فى محاسن الشعر وآدابه، تحقيق دكتور محمد قرقزان، مطبعة الكاتب العربى بدمشق، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م.

٣٤- **ابن منظور : أبو الفضل جمال الدين الأنصارى**

لسان العرب، تحقيق نخبه من الأساتذة : عبد الله على الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلى، الناشر : دار المعارف بمصر.

٣٥- **موافى : عثمان (دكتور)**

التيارات الأجنبية فى الشعر العربى منذ العصر العباسى حتى نهاية القرن الثالث الهجرى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٦م.

٣٦- **ناصف : مصطفى (دكتور)**

دراسة الأدب العربى، الناشر: الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة (بدون تاريخ)

٣٧- **يونس : على (دكتور)**

نظرة جديدة فى موسيقى الشعر العربى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م.